٥٣

وأنبت هذا الأشواق حببته وقد تكون السلاسل في البيت جمع سلسل وهو الماء العذب
الطيب حسبما تقدم التنبيه له وأشعر أنه يريد جمع السلسلة تورية منه رشحها
بما ذكر من وصف القيد وقد قال بعض متأخري المشارقة فيما ينظر إلى هذا النوع

في منتشق هنا شوق إليها مبرح ... وإن لج واش أو ألح عذول
بلادي بها الحصباء در وتربها ... عبير وأنفاس الشمال شمول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق ... وصح نسيم الروض وهو عليل

وفي البيت تورية متمكنة من قوله تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق والتورية فيه من جهة
عدة وجهين أحدهما أنه ورّى بالمسلسل والمطلق عن المقيد وضده والثاني أنه ورّى بمصطلح
أهل الحديث وتشبيه الماء الرائق على سوق الأغصان بالخلاخيل والقيود معنى
متداول بين الشعراء كقول الشاعر يصف الغصن والماء دائر به

كأن مذ صاغت هنا المسافة ... من الفضة البيضاء خيلا مسلسلا

ثم إن الناظم استعطفه وزاد فيه ما أحسن كل الإحسان ولأبي العباس عبد الله بن
المعتز يصف الزمان وهو في ربيع جزلا

مستترة فاها ثلاثين جمة ... كواضعة رجلا ومرفوعة رجلا
فأخرج بالمزمار منها سبيكة ... كما فتل الصواغ خلخاله فتلا

ولأبي البحر صفوان بن إدريس فيما ينظر إلى بعض هذا المنحى الذي نحا الناظم أو يقرب منه

وكأنما جاء النسيم مبشرا ... للروض يخبره بطول وفاء
فكساه خلعة طيبه ورمى له ... بدراهم الأزهار رمي سخاء
وكأنما احتقر الصنيع فبادرت ... للعذر عنه نغمة الورقاء ... يقول فيها
والورد في شط الخليج كأنه ... رمد ألم بمقلة زرقاء

وقد أنشدته قبل وكان شيخنا أبو عبد الله رحمه الله يستحسن هذه القطعة كلها
ويعدها من غرر كلام أبي بحر وجانس بين فاتن وفتان ويسمى هذا النوع تجنيس
القلب وتجنيس العكس وتجنيس المخالفة وهو أن تشتمل إحدى الكلمتين على حروف
الأخرى دون ترتيبها كقول البحتري

شواجر أرماح تقطع بينهم ... شواجر أرحام ملوم قطوعها

وقد ذكرنا قبل وجانس الناظم أيضا بين أنهر وأنهر ونهر وقد تقدم
وقد فسرتم تفسيرهما وبين أغفل واغتفا وقد تقدم الكلام على نظيره

حواليه أنهار فيها كوثر ... ويكوثر للمال مزيد من عجلا

تجنيس القلب
تجنيس العكس
تجنيس المخالفة وتفسيره

فيها من الأشجار خضر قطع ... وقطع ذات ابيضاض من نها
كأنها يتيمة الغائص في ... ما يشتهر غيرها إن غبنا
شق الغصون بينها حتى انتقش ... وشق من إرادها أجمع مشرا
لم يتنفسوا عليها بها وقالوا ... إذ أغصان وما حشروها

الحديقة الروضة وما أثبتها الله تعالى وحدائق غلبا ويقال الحديقة كل بستان عليه حائط وقيل
سمي بذلك لإحداق الحائط به والكوثر الكثير من كل شيء والكوثر النهر عن كراع والكوثر
نهر في الجنة منه يتشعب جميع أنهارها وهو للنبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
إنا أعطيناك الكوثر وقيل الكوثر ها هنا الخير الذي يعطيه الله تعالى وهو كله راجع إلى
معنى الكثرة جعل فيها كوثرا من الماء المجتلب إليها وكوثرا من المال المستفاد منها
وجعله يروي الغلاة لكثرة ما يبيح به للقاصدين تشبيها له بكوثر الماء وتمثيلا به وهو
مثل قوله قبل وكوثري ثراء وماء فيها البيت المتقدم وأعاد فيه اللفظ والمعنى معا وفي
قوله فيها من الأشجار خضر قطع البيت الأشجار جمع شجر
مسنون أبلين براعته وقوله فيها من الأسحار خضر قطع البيت الأسحار جمع سحر
وهو آخر الليل وقيل الوقت الذي قبل طلوع الفجر والضحى الوقت الذي تشرق فيه الشمس
شبه خضرة ما تحتوي عليه تلك الحدائق من النبات والأشجار بظلمة السحر كأنه
الخضرة قد تضرب إلى السواد ولذلك كانت العرب قد تسمي الأسود أخضر وقيل في معنى
قوله تعالى مدهامتان أي خضراوان لأنهما يضربان إلى السواد من شدة الري وشبه أيضا
بياض الماء الذي يجري بينها ببياض الضحى وإنما خص السحر من سائر الليل لشدة عبق
النسيم فيه كما يعبق النبات ولتقابل به الضحى ولأن للأسحار محاسن زائدة ليست لغيرها
من الليل كما أن لخضرة النبات محاسن زائدة على سائر ما يوصف بالخضرة ومعنى هذا البيت
ينظر إلى قول أبي تمام الخفاجي رحمه الله تعالى

ملك الزمان بأسره فنهاره ... في وجهه وظلامه في شعره

وأوقع الناظم التشبيه بغير أداة كما تقول زيد من الأسد في شجاعته وعمرو من
البحار في كرمه ويتيمة الغائص هي الدرة النفيسة التي يعز نظيرها يقال درة يتيمة
أي منفردة في حسنها لا يوجد مثلها أو نادرة ويقال لها درة الغائص ودرة الغائص ويتيمة
الغائص والغائص لأن الغائص يستخرجها من قعر البحر ويغوص عليها وأضيفت إليه كما
أنها المختارة من غيرها كما يقال فلان رجل الزمان والمعول عليه من رجاله ويشبه
قولهم أسنى نت الإبل والغنم والناس أي أخس نهم قال الأعشى

وقد أخرج الكاعب المسترادة من خدرها وأشيع القمارا

Copyright © King Saud University